شرح كتاب (الرد على الجهمية) لعثمان بن سعيد الدارمي-رحمه الله.

شرح فضيلة الشيخ

أ.د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (٨)

ثم قال: [وحدَّثنا موسى بن إسماعيل، (قال:) حدَّثنا جويرية يعني ابن أسماء، قال: سمعت نافعاً، يقول: قالت عائشة رضي الله عنها: وأيم الله، إني لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلت – تعني عثمان – ولكن علم الله من فوق عرشه أني لم أحب قتله.

وحدَّثنا النفيلي، (قال:) حدَّثنا زهير بن معاوية، (قال:) حدَّثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم، (قال:) حدَّثني عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، أنَّه حدَّثه].

على كلٍّ حال هذا الحديث السابق قال عنه المحقق عندي: أثر ضعيف. وعندكم؟

حسنه، يعني: فيه أنَّ عائشة رضي الله عنها كأنَّها أو كأنَّ أحداً قال: إنَّك كنت تحبين قتله، أي: قتل عثمان رضي الله عنه، فنفت ذلك رضي الله عنها، وقالت: لو كنت أحب قتله لقُتلت. كأنَّما تشير في ذلك إلى ما وقع لها يوم الجمع حينما رموها بالنبل حتى عاد هودجها كالقنفذ من وقع النبل، ولهذا جاء في طريق آخر عن مجاهد عن عائشة قالت: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعثمان بين يديه يناجيه، فلم أدرك من مقالته شيئاً إلا قول عثمان: أظلماً وعدواناً، أظلماً وعدواناً يا رسول الله، فما دريت ما هو حتى قُتل عثمان، فعلمتُ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم إنَّما عنى قتله، فقالت عائشة: وما أحببت أن يصل إلى

هذه المادة لم تراجع على الشيخ - حفظه الله -

عثمان شيء إلا وصل إليّ مثله، غير أنَّ الله علم أني لم أحب قتله، ولو أحببت قتله لقُتلت. وذلك لما رُمي هودجها من النبل حتى صار مثل القنفذ.

على كلٍّ حال هذا لا تقوم به حجة، ولا يثبت، وإنَّما أورده المؤلف لقولها: ولكن علم الله من فوق عرشه أني لم أحب قتله. ففيه دليل الفوقية على العرش يدلُّ على العلو.

[وحدَّثنا النفيل، (قال:) حدَّثنا زهير بن معاوية، (قال:) حدَّثنا عبد الله بن عثمان خثيم، (قال:) حدَّثني عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، أنَّه حدَّثه ذكوان، حاجب عائشة رضي الله عنها، أنَّ ابن عباس رضي الله عنهما دخل على عائشة وهي تموت، فقال لها: كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبُّ إلا طيباً، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات، جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مَسْجِدٌ من مساجد الله تعالى يُذكر فيه الله إلا وهي تتلى فيه آناء الليل والنهار].

هذا من كمال عقله ووفور علمه رضي الله عنه، أعني: ابن عباس، انظروا كيف أتى بهذه الكلمات الحسنة لأم المؤمنين عائشة، أمه، في هذا المقام، لأنَّ من كان في السياق وفي حال الاحتضار ينبغي أن يُعظَّم رجاؤه في الله، لأنَّه قد جاء في الحديث أنا عند ظن عبدي بي، فينبغي أن يموت العبد على حسن ظن بالله تعالى، فلهذا أورد عليها ابن عباس هذه المناقب الحسنة التي تدخل السرور إلى قلبها، وتعظِّم رجاءها بالله تعالى، (كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، وصدق، (ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب إلا طيباً)، وصدق، (وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح

الأمين)، وصدق، (فأصبح ليس مسجد من مساجد الله تعالى يُذكر فيه الله إلا وهي تتلى فيه آناء الله والنهار)، الله أكبر، أين الشاهد منه؟ (أنزل الله براءتك من فوق سبع سموات)، هذا هو شاهد العلو، وهو حديث حسن بحمد لله.

ثم قال: [حدَّثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى، (قال:) حدَّثنا موسى أبو محمد، من موالي عثمان بن عفان، قال: وكان من خيار الناس، عن خالد بن يزيد بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، قال: خطب علي الناس الخطبة التي لم يخطب بعدها، فقال: الحمد لله الذي دنا في علوه، ونأى في دنوه، لا يبلغ شيء مكانه، ولا يمتنع عليه شيء أراده].

هذا قال عنه عندي: هذا أثر ضعيف جداً أخرجه ابن أبي الدنيا من طريق أبي حاتم الرازي.. إلى آخره، قال: وفي سنده خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الهمداني أبو هاشم الشامي الدمشقي، قال في "التقريب": ضعيف، اتهمه ابن معين، وقال أحمد: ليس بشيء.

أما جمله (فالحمد لله الذي دنا في علوه)، نعم مراده بالدنو هنا يعني: القرب من عباده بعلمه وسمعه وبصره وسائر صفات ربوبيته، لكنه بذاته فوق سماواته له صفة العلو، (وناء في دنوه)، أي: أنَّه مع قربه بعلمه وسمعه وبصره فهو ناء بعيد عن خلقه لعلوه المطلق سبحانه وبحمده، (لا يبلغ شيء مكانه)، نعم ((لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ))[الأنعام:١٠٣]، (ولا يمتنع عليه شيء أراده)، سبحانه، على أنَّ التعبير بالمكان يحتاج إلى دليل خاص، فإنَّ ألفاظ الصفات توقيفية، وإنَّما نقول كما قال: قد استوى على عرشه. سبحانه وبحمده.

[حدَّثنا نعيم بن حماد، (قال:) حدَّثنا ابن المبارك، أنبأنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت البناني، (قال:) حدَّثنا رجل، من أهل الشام، وكان يتبع عبد الله بن عمرو بن العاص ويسمع منه، قال: كنت معه فلقي نوفاً، فقال نوف: ذكر لنا أنَّ الله تعالى قال لملائكته: ادعوا لي عبادي، فقالوا: يا رب كيف والسموات السبع دونهم، والعرش فوق ذلك؟ قال: إنهم إذا قالوا: لا إله إلا الله، فقد استجابوا لي.

قال: يقول عبد الله بن عمرو: صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب، أو قال غيرها، شك سليمان، فقعد رهط أنا فيهم ينتظرون الصلاة الأخرى، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرع المشي، كأني أنظر إلى رفعه إزاره كي يكون أخف له في المشي، فانتهى إلينا، فقال: {ألا أبشروا، هذا ربكم أمر بباب في السماء الوسطى – أو قال: باب السماء – ففتحه، ففاخر بكم الملائكة، فقال: انظروا إلى عبادي، أدوا حقاً من حقي، ثم انتظروا أداء حق آخر يؤدونه].

ماذا قال عنه عندكم؟

مداخلة: ضعيف.

ذكر ضعفه، طيب، والشاهد منه قوله: {هذا ربكم أمر باب في السماء الوسطى}، وقال: {ففتحه ففاخر بكم الملائكة}، مما يدلُّ على أنَّه سبحانه وتعالى في السماء، لكن الحديث فيه غير راوٍ ضعيف.

.....

الإسناد الصحيح هو ما أخرجه الإمام أحمد وابن ماجة من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أبي أيوب يحيى بن مالك المراغي أنَّ نوفاً البكالي وعبد الله بن عمرو بن العاص اجتمعا، فقال نوف: لو أنَّ

السموات والأرض وما فيهما وضعا في كفة الميزان، ووُضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لرجحت بهنَّ، ولو أنَّ السموات والأرض وما فيهنَّ كنَّ طبقاً من حديد فقال رجل: لا إله إلا الله لخرقتهنَّ حتى تنتهي إلى الله عز وجل. فقال عبد الله بن عمرو: صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب، فذكره، أي: الحديث السابق، قال: وإسناده صحيح.

ثم قال: [حدَّثنا موسى بن إسماعيل، (قال:) حدَّثنا أبو هلال، (قال:) حدَّثنا قتادة، قال: قالت بنو إسرائيل: يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض، فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟ قال: إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم، وإذا غضبت عليكم استعملت عليكم شراركم].

هذا إسناده صحيح، لكنه كما هو واضح من الإسرائيليات، لأنَّ قتادة قال: (قالت بنو إسرائيل، يا رب أنت في السماء)، وهذا هو الشاهد إثبات علو الله عز وجل، وفيه: (كيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟) فجعل لهم علامة أنَّه إذا رضي عنهم استعمل عليهم خيارهم، وإذا غضب عليهم استعمل عليهم شرارهم. ومثل هذا – والله أعلم – أنَّه يلتحق بالنوع الثاني من الإسرائيليات، إذ أنَّ معناه – والله أعلم – مما شهدت له دلائل الكتاب والسنة، إذ أنَّ المروي عن بني إسرائيل إما أن يشهد له الكتاب والسنة بالبطلان فنرده ونبطله، وإما أن يشهد له الكتاب والسنة بالصحة فنثبته ونقبله، وإما ألا يكون في الكتاب والسنة ما يشهد ولا ما يشهد عليه فحينئذ لا نصدقه ولا نكذبه، ولكن قد جاءت آثار وأحاديث كثيرة تدلُّ على أنَّ العباد إذا عصوا ابتلوا بجور السلطان، وأنَّه ما أصابهم، وكما قال الله عز وجل في كتابه: ((وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ

فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ))[الشورى:٣٠]، فيكون معناه من حيث الجملة صحيح، وإنَّما أورده المصنف لقوله: (يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض).

قال المؤلف رحمه الله تعالى وغفر له ولشيخنا والمسلمين: [حدَّثنا عبد الله بن صالح المصري، (قال): حدَّثني الليث وهو ابن سعد (قال): حدَّثني خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، أنَّ زيد بن أسلم حدَّثه عن عطاء بن يسار، قال: أتى رجل كعباً وهو في نفر، فقال: يا أبا إسحاق حدِّثني عن الجبار. فأعظم القوم قوله، فقال كعب: دعوا الرجل، فإن كان جاهلاً تعلَّم، وإن كان عالماً ازداد علماً، ثم قال كعب: أخبرك أنَّ الله خلق سبع سموات، ومن الأرض مثلهن، ثم جعل ما بين كل سماءين كما بين السماء الدنيا والأرض، وكثفهن مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه، فما في السموات سماء إلا لها أطيط كأطيط الرحل العلافي أول ما تُرحَّل من ثقل الجبار فوقهن].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دلالة هذا الحديث أو هذا الأثر واضحة، وكعب هو كعب الأحبار وهو من مسلمة أهل الكتاب، ومن المعلوم أنَّ مسلمة أهل الكتاب قد ورثوا من الملتين قبلنا كثيراً من العلوم، والنبي صلى الله عليه وسلم أقرَّ بعضها لما جاءه الخبر من اليهود وأخبر أو حدَّث عند النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، وذكر الحديث فتبسم النبي أو فضحك النبي صلى الله عليه وسلم تصديقاً للحبر، فيكون عندهم من العلوم ما هو من بقية الرسالات، فيصدق، ويكون عندهم ما قد

امتدت إليه يد التحريف، فهذا الذي ذكر موافق لما مرَّ بنا في بعض الأحاديث، وهو من حيث الجملة لا ريب أنَّه يدلُّ على علو الله عز وجل، فقال هاهنا: (خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنَّ)، وهذا بنصِّ كتاب الله، (ثم جعل ما بين كل سماءين كما بين سماء الدنيا والأرض، وكثفهنَّ مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه، فما في السموات سماء إلا لها أطيط كأطيط الرحل العلافي)، وهذه النسبة نسبة يعرفها العرب، يقولون: إنَّ الرحل العلافي نسبة إلى أول رجل عمل ذلك الرحل، أو من عمل الرحال رجل من الأزد نسبته هكذا علافي.

(أول ما يرتحل من ثقل الجبار فوقهنَّ)، هذا المعنى قد تكرر في أحاديث سبقت، وقد ضعَّف المحقق هذا الأثر، إلا إنَّه نقل عن أبي الشيخ الأصبهاني في كتاب "العظمة"، قال: بإسناد صحيح. لكنه استدرك عليه بأنَّ في سنده كاتب الليث، وهو معروف عند المحدثين بالضعف، عبد الله بن صالح المصري، ثم نقل فائدة قال: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا الأثر وإن كان هو رواية كعب فيحتمل أن يكون من علوم أهل الكتاب، ويحتمل أن يكون مما تلقاه عن الصحابة، ورواية أهل الكتاب التي ليس عندنا شاهد هو لا يدافعها – أي: ذلك الشاهد – ولا يصدِّقها ولا يكذِّبها، فهؤلاء الأئمة المذكورة في إسناده هم من أجل الأئمة، وقد حدَّثوا به هم وغيرهم ولم ينكروا ما فيه من قول من ثقل الجبار فوقهنَّ، فلو كان هذا القول منكراً في دين الإسلام عندهم لم يحدِّثوا به على هذا الوجه. انتهى. هذا في "بيان تلبيس الجهمية"، وهو يدلنا على أنَّ الأئمة إذا رووا الأحاديث وإن كان في سندها ضعف ثم سكتوا ولم يغلِّطوا الراوي أنَّ ذلك يدلُّ على قبولهم واحتمالهم للمعنى، إذ لا يسع السكوت على ما فيه مثلاً تنقص للرب، أو منافاة لكماله، فكأنَّ الأئمة رحمهم الله احتملوا ذلك، ورأوا أنَّ كثرة الطرق والآثار في هذا يعضد بعضها بعضاً.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ

لم يحكم عليه، على كلِّ حال المعنى العام متفق عليه، وإنَّما ذكر (ما بين كل سماء وسماء)، هذا ورد في الأحاديث، وذكر الأطيط أيضاً قد ورد في حديث قد مرَّ بنا سابقاً.

ثم إنَّه قال: [حدَّثنا عبد الله بن صالح، (قال): حدَّثني الليث، (قال): حدَّثني عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني سالم بن عبد الله، أنَّ كعب الأحبار، قال لعمر رضي الله عنه: ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء. قال عمر: إلا من حاسب نفسه. فقال كعب: إلا من حاسب نفسه. وكبَّر عمر وخرَّ ساجداً].

لقد ذكروا لهذا الأثر قصة وهو أنَّ عمر رضي الله عنه كان قد علا رجلاً بالدرة، وأنتم تعلمون أنَّ عمر رضي الله عنه كان قوياً في ذات الله، وكان يحتسب على أصحاب المنكرات، ويعلوهم بالدرة، والدرة هي قنو النخلة، المتبقية من قنو النخل، فيكون في ذلك نوع تعزير، فرآه كعب وهو يضرب رجلاً بالدرة، فقال: على رسلك يا عمر، فوالذي نفسي بيده إنَّه لمكتوب في التوراة: ويل لسلطان الأرض، وذكره، ولكن هذه القصة بهذا الإسناد مرسلة، فالشاهد منه قوله: من سلطان السماء، فهذا يدلُّ على أنَّه مستقر عندهم وفي كتبهم أنَّ الله سبحانه وتعالى في السماء.

وبمناسبة ذكر كعب الأحبار، فكعب الأحبار رحمه الله من مسلمة أهل الكتاب، وبعض المتعجلين ذمه ذماً شديداً، لاسيما من المتأخرين، ذمه ذماً شديداً، بل ووصمه بألقاب السوء، وهو منها برئ رحمه الله، وربما استدلَّ بعضهم بقول معاوية: وإنَّا لنبلوا عليه الكذب. فظنَّ أنَّ هذا من معاوية تكذيباً له، وإنَّما أراد معاوية رضي الله عنه بقوله: وإنَّا لنبلوا عليه الكذب. يعني: أننا نميِّز صحيح منقوله من باطله، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم بما آتاهم الله من العلم والحكمة يميِّزون مرويات أهل الكتاب، فإذا حدَّثهم أهل الكتاب

بمحفوظهم ومنقولهم من كتبهم عرفوا ما هو حق وما هو باطل، فقول معاوية: وإنَّا لنبلوا عليه الكذب، يعني: نميِّز صحيح كلامه من باطله، لا أنَّه هو يكون قد تعمد الكذب، لا، بل المقصود ما سمعتم أنَّه ربما حدَّث بشيء لا يعلم أنَّه وقع فيه تحريف وغلط فيعرفه الصحابة بما آتاهم الله من علم وحكمة.

[حدَّثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، (قال): حدَّثنا أبي، عن نضر أبي عمر الخراز، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: سيد السموات السماء التي فيها العرش، وسيد الأرضين التي نحن عليها، وسيد الشجر العوسج، ومنه عصا موسى.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.